

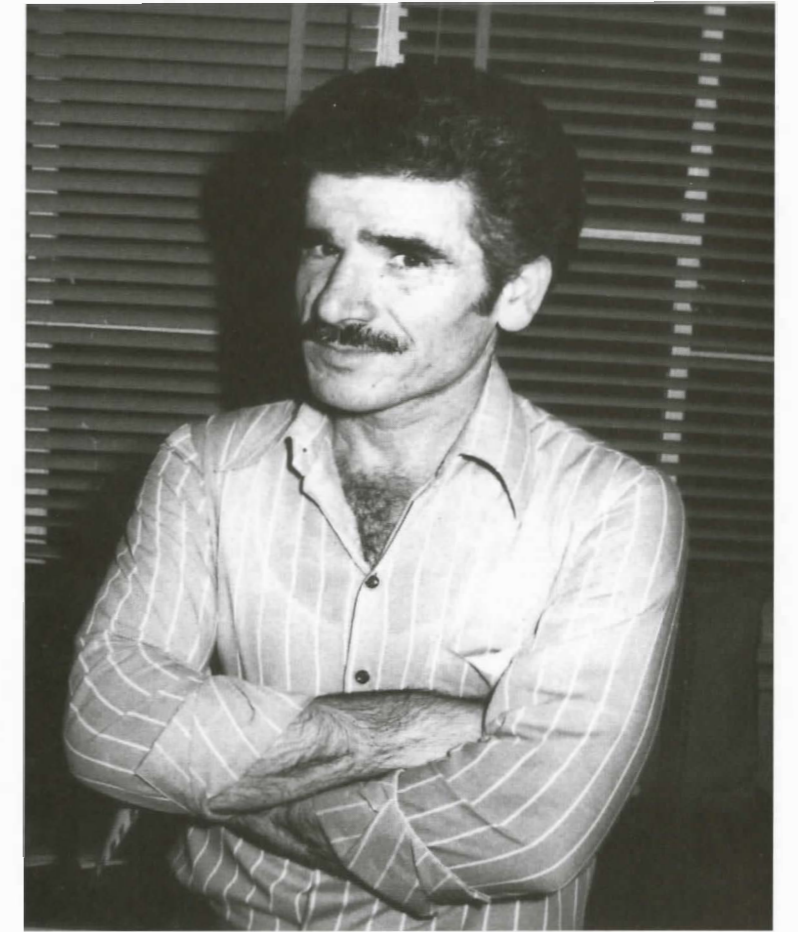
جداريات عبد الحميد بعلبكي

الأيدي هلعة والعيون مسحوقة والحزن عميق

السفير 15/8/1978

للمرة الثانية، خلال ثلاثة أعوام يقدم الفنان عبد الحميد بعلبكي ضحية فنية على مذبح الحرب اللبنانية. فمنذ عامين فقد لوحته الأولى «عاشوراء» التي سرقت من معهد الفنون، ومؤخراً، أسرت لوحة جديدة له، في خط التماس في الشياح، دون أن يعرف شيئاً عن مصيرها.

عبد الحميد بعلبكي، أحد أبرز الفنانين الشبان الجنوبيين، من بلدة العديسة، درس الفن في معهد الفنون الجميلة - الجامعة اللبنانية وتابع تخصصه في المعهد الوطني العالي للفنون الزخرفية في باريس. اشترك في العديد من المعارض الجماعية في بيروت والنبطية وباريس والكويت. يمارس، حالياً، مهنة التدريس في معهد الفنون الجميلة - الفرع الأول - قسم الرسم والتصوير. عنده اهتمام خاص بالتراث وجمع المأثورات الشعبية العربية. له عدة كتابات حول الفن أبرزها دراسة فنية عن مدرسة بغداد للتصوير، أعدها عام 1970.



لوحة الحرب الاهلية

يتميز عبد الحميد بعلبكي، عن غيره من الفنانين اللبنانيين، في شغفه بالرسم على مساحات جدارية. وله في هذا المجال، عدة جداريات أهمها «لوحة عاشوراء» (06,3م طول - 07,1م عرض)، فقدت خلال حرب السنتين و«لوحة الغربية»، رسمت في باريس (2م طول - 2م عرض)، و«سقوط النصار» (4م طول - 2م عرض)، عرضت في باريس، لم يكن من إمكانية لجلبها إلى لبنان إلا في تقسيمها إلى جزئين، وهي لا تزال محفوظة حتى الآن. و«الحرب الأهلية» (08,3م طول - 01,2م عرض). هذه اللوحة لا تزال مصلوبة على جدار منزل الفنان في الشياح. حول هذه اللوحة، يقول الفنان بعلبكي: «إنها لم تستكمل بعد، فأنا الذي أريده ليس مجرد وضع وصف تقرير عن الحرب، كمظهر عسكري. ولكن، الالتزام بقضية الناس، الذي وقع عليهم قدر الحرب. وأين كان هؤلاء الناس، بالنسبة للحرب. بمعنى آخر، هل كانت الحرب، بالنسبة لهم، سعيًا لكسب قضية أو عملاً تحريراً، أنها كانت... إنسحاق».

تجسد جدارية عبد الحميد بعلبكي هلع الأيدي والعيون المسحوقة واستكانة الحزن العميق لأم تختصر آلام وطن بأسره. بالإضافة، تمنحنا اللوحة، من خلال رموز الحرب - (البومة-البيضة-ديك الشر-الطوطم -المتصارعان الحديدان - الدمار) تمنحنا الشعور بمسبات المآسي الإنسانية. من الناحية التشكيلية، تعتمد اللوحة، على الاقتصاد والصرامة في اللون وعلى التعبير عن تفجر الخطوط وتصادم المساحات ضمن بناء كتلوي وتآليف متين لمجموعة من المثلثات المتداخلة. حول المشاكل الفنية التي تعترض أسلوب الرسم الجداري يقول الفنان بعلبكي: «أنا أرسم على القماش، لأنه الوسيلة الوحيدة، المتوفرة حالياً، ضمن إمكانيات البيت، والهجرة، إن همي الوحيد، في المستقبل، أن يكون لدي محترف، لأرسم على الجدران... هناك مشاكل عديدة تعترض العمل داخل الغرفة، أبرزها القيود التي تفرضها المساحة. أنا أعتبر أن اللوحة الجدارية، هي لوحة الناس، وأيضاً، هي لوحة المستقبل. فالبلاد العربية اليوم، تمر في مرحلة جيشان حضاري يرافقها أوضاعاً ملحمية متفجرة. لذا، من واجب الفنان العربي أن لا يكون خارج عصره، وهذا، يستوجب من الفنان المشاركة بأعمال كبيرة، تستوعب الجو الملحمي، للتعبير عن التغييرات الجذرية المنتظرة، وبالتالي، للمساهمة بولادة فن جداري، شعبي، يكون، بمثابة، نقيض لفن اللوحة الصالونية البرجوازية».

وحول ظهور الفن الجداري المعاصر في لبنان يقول بعلبكي: «في الأربعينيات، ساد فن الرسم الجداري (الفرسك) على جدران بعض الكنائس والأديرة، أذكر منها على وجه التحديد رسوم صليبا الدويهي في الديمان.. أما، الرسم الجداري على الأقمشة، فقد عرف رواجاً عند مجموعة من فناني الرعييل الثاني أمثال فروخ والحويك».